ليبنتز(1646_ 1716)

1_ حياته:

ولد جوتفريد فلهلم ليبنتز عام 1646 في مدينة ليبزج Leipzig بألمانيا، لعائلة تقريبا كلهم محامين كان والده أستاذا في القانون والأخلاق في جامعة ليبزج وأمه ابنة أستاذ الحقوق، جو عائلي يتميز بالثقافة الرفيعة مات أبوه وهو في السادسة من عمرة تولت الأم تربيته، وتعليمه وساعدها في ذلك ما تركه الثروة التي تركها أب ليبنتز، ومكتبة زاخرة من كتب القدماء المحدثين، اخذ وقرأ منها ليبنتز الكثير خاصة وهو أنذاك يتقن اللغة اللاتينية والألمانية، وهو مزال صغيرا.

لتحق بجامعة ليبزج وهو في الرابعة عشر من عمره، درس القانون والفلسفة وبدأت هنا عبقريته مبكرا

كتب مقالا عنوانه «التفرد" عندما أكمل سن العشرين وبلغت نهاية مرحلته الجامعية رفضت الجامع منحه درجة الدكتوراه لصغر سنه جامعة تود ورف Altdorf وافقت على منحه درجة الدكتوراه في القانون (دكتور تشريع) وعرضت عليه درجة الأستاذية نظرا لعبقريته لكنه اعتذر عن الوظيفة لأنه أراد حياة أكثر حرية واستقلالية بعيد عن ربقة الوظيفة وهمومها. لم يكن ليبنتز يحب الوظائف الحكومية ولو كانت في الجامعة، بل يحبذ حياة الترحال سافر وفي سفره التقى بالمنطقي "أرنو" من مناطقة بول رويال ناقش معه العديد من المسائل الفلسفية اتصل بمالبرانش وناقش معه مسألة الرؤية في الله التقى بهويجنز الذي عرفه على منهج باسكال وفشل في عقد لقاء كان اهم بالنسبة له مع هوبز نظرا لكبر سنه وسوء حالته الصحية والذهنية. استقر ليبنتز في "هانوفر" لمدة أربعين سنة شغل مدير مكتبة هانوفر تم انتخابه رئيسا للأكاديمية العلمية في برلين سنة 1700 الا أن الروح الاستعمارية لا زالت تسكن روحه كان يتحدث كثيرا عن غزو الألمان للمصريين حفاضا على نصارى أوربا.

توفي ليبنتز في عام 1716 في هانوفر، بعدما أصابه مرض الطاعون عندما حضرته الوفاة رفض أن يحضر رجال دين كان لا يمارس طقوس العبادة الا نادرا، وهكذا بعض من الدارسين له يصفونه بأنه متشبع بالقيم الدينية كان يأمر ويشجع ملوك أوربا بغزو مصر ومتعصب ضد المسلمين كما يقال وأهل الشرق بصفة عامة.

2_ مؤلفاته:

كتب ليبنتز في التاريخ والرياضيات، الفلسفة، الفيزياء ورسائل إلى بعض علماء عصره وكتب بالفرنسية واللاتينية وقليل باللغة الألمانية، ومن بين أهم هذه المؤلفات هي:

_ المراسلات مع فيليب وآخرين بشأن فلسفة ديكارت1679

_ تأملات في الحقيقة والأفكار 1684

_ مراسلات مع أرنو 1690

_ مقال في الميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة) 1686

_ في المنهج الفلسفي واللاهوت 1690

_ ماهية الأجسام: الامتداد عبارة عن مقال نشر في مجلة العلماء

_ في التشريع والعدالة

_ في الفلسفة الأولى العالم ونظرية الجوهر 1694

_ تفسير المذهب الجديد في الطبيعة واتصال الجواهر 1695

_ في الأصل الأساسي للأشياء 1697

_ بحوث مختلفة عن المذهب الديكارتي 1700

_ تأملات في نظرية الروح الكلية 1704

_ مقالات جديدة عن العقل الإنساني 1704

_ النظام الذي تتأسس عليه الظواهر

_ مقال في العدالة الإلهية في طبيعة الرحمة الإلهية حرية الانسان وأصل الشر 1710

_ المونادولوجيا 1715

_ مبدأ الطبيعة والعناية المؤسسة على العقل 1714

3_ نسق ليبنتز:

كان ليبنتز على الرغم من التعصب الذي يمتاز به ونزعته الاستعمارية، فهو ذو ثقافة واسعة، وعمق في التفكير جمع في نسقه بين أنساق عديدة وأفكار متنوعة حتى أنه قال:" لقد تأثرت بمذهب جديد ومنذ ذلك الحين أظن أنني أرى وجها جديدا لباطن الأشياء هذا المذهب يبدوا جامعا أفلاطون حتى ديموقريطس وأرسطو حتى ديكارت، ومن المدرسين إلى المحدثين، ومن اللاهوت والأخلاق إلى العقل ويلوح أنه يأخذ الأفضل من كل صوب ثم يمضي إلى مما مضوا فيه واذا التفتنا إلى آثار الحقيقة هذه عند القدماء استخرجنا التبر من التراب والماس من المنجم والنور من الظلمات وأقمنا فلسفة دائمة"

إذا كانت فلسفة ليبنتز تأخذ من كل مذهب طرف حاول التوفيق بين الأضداد مثل الكلي والجزئي والممكن والوجود، المنطقي والميتافيزيقي، الرياضي والطبيعي، الآلية والغائية، المادة والروح، الحس والعقل.

إن بداية ليبنتز مثل بداية سبينوزا فقط بدأ الاثنان من فلسفة ديكارت، لكن نهايتهما مختلفة تمام لقد أدت فلسفة ديكارت إلى قول سبينوزا بجوهر واحد هو الله أو الطبيعة بما هي كل وهذا هو مذهب وحدة الوجود، بينما أدت فلسفة ديكارت بليبنتز إلى الاعتقاد بعدد لا متناه من الجواهر أطلق عليها المونادات Monads

رفض ليبنتز بدأ نسقه بالشك المنهجي كمنهج له، وانما اهتم بكل النظريات والتعاليم السابقة عليه ثم أضاف عدة حقائق من نبعه الخاص. كما اجتمع جميع النقاد على أن ليبنتز فلسفته ليست مكتملة وسبب عدم اكتمالها هو عدم الاهتمام الكافي بنسقه لأنه فيلسوف كثير الترحال وكان يكتب الفلسفة في حالة الفراغ فقط كما أن كتاباته كانت تتعرض للتأخير والانقطاع، مما يخرجه عن جو الموضوع الذي هو بصدد الكتابة عنه، لكن نزعته تشكلت مما كان يعتقده فيما سبق من أن الشرقيون حصلوا على أفكار جديدة في الإلهيات، اكتشف اليونان المنهج الاستدلالي وطبيعة العلم، نبذ آباء الكنيسة ما كان خاطئا في الفلسفة اليونانية، وحاول المدرسيون أن يستخدموا لصالح المسيحية ما كان معقولا في فلسفة الوثنين وفلسفة ديكارت هي الطريق المؤدي إلى الحقيقة.

هذه النزعة تشكلت عند ليبنتز عندما كان يدرس الرياضيات بجامعة "يينا" تأليفاته الرياضية أدت به إلى البحث عن تأليفات أخرى مماثلة للفلسفة. أي أن التقدم العلمي الهائل في عصره إلى التعرف على القوانين الطبيعية الكلية وتبنى النظرة الآلية للطبيعة ولكن بنظرة تختلف عن النظرة الآلية عند ديكارت.

4_الميتافيزيقا:

كل كائن موجود يكون إما مركبا أو بسيطا، والموجودات البسيطة هي موجودات لا أجزاء لها، وهي جواهر صادقة وحقيقية أكثر من تلك الموجودات المركبة، الموجودات البسيطة لا يمكن أن تمتد في المكان طالما أن كل شيء ممتد في المكان هو أيضا قابل للقسمة وهي لا تسبب لنا الشك إذا تأملنا فيها من خلال النظرية المادية للذرات لكن يمكن فهمها على أساس أنها تمثل الروح الإنسانية التي لا هي ممتدة في المكان ولا هي قابلة للانقسام إن مثل هذه الموجودات البسيطة يسميها ليبنتز بالمونادات Monads

الموناد كلمة يونانية مشتقة من لفظ monas بمعنى وحدة واحدة وتشير إلى ما هو واحد يدل في المذاهب الفلسفية على وحدة وهذه الوحدة في الوجود غير قابلة للتجزئة والقسمة إلى عناصر أبسط منه
واستخدم هذا المصطلح لأول مرة في الفلسفة اليونانية القديمة عند مثلا لوقيبوس، ديموقريطس يؤكد ليبنتز أن الموناد في كتابه المونادولوجيا عبارة عن ذرة روحية يتألف منها الوجود ولها القدرة الإدراك وبين

ليبنتز أن المونادات تتفاوت في درجة تطورها فضلا عن أنها مستقلة عن بعضها البعض ومنغلقة عن نفسها، فليس للمونادات نوافذ فلا تؤثر بعضها في بعض آخر إلا من خلال االله وكل موناد يعكس تركيب وبنيان الكون بأكمله.

المونادات بمعنى ذرات تحدث عن الفلاسفة السابقون على ليبنتز مثل ديموقريطس، أبيقور، تحدثوا عنها باعتبارها ذرات مادية بينما ليبنتز على أنها عناصر روحية وشتان بين المادة والروح ليبنتز أراد أن يقدم تفسير ميتافيزيقي بحت. وهذا التفسير الذي قدمه ليبنتز بعد تأمله الطويل في العالم ورأى بأنه يتشكل من وحدات موجودة فعلا فهي موجودات حقيقية أطلق عليها ليبنتز بالمونادات هي جواهر بسيطة ليست بذات أجزاء بسيطة وغير ممتدة في المكان وهي تمثل عناصر الأشياء وإذا أردنا رؤيتها فيجب أن تتوقف كلها عن الوجود دفعة واحدة وهذا مستحيل مما يعني أنها تبدأ بالخلق وتنتهي بالإبادة.

هي مونادات لا تختلف من حيث الكم بل من حيث الكيف، هذا المبدأ يسميه ذاتية اللامتمايزات يقول ليبنتز:" إذا كان هناك موضوعان يتشابها تماما في جميع الاعتبارات مهما كانت إنهما يكونان موضوعا واحدا وبمعنى آخر إن الاختلاف بين المونادات ضروري طبقا للمذهب اللايبنتزي الذي يقرر أن الأشياء لا توجد كواحدات منفصلة إلا إذا كان لهذه للوحدات صافات أو كيفيات مختلفة.

المونادات تنقسم إلى مجموعات ثلاث هي:

أ_ مونادات خالية من الشعور: كائنات مكتفية بذاتها لها أفعالها وتركيباتها الداخلية وتوصف بالآلية الروحية.

ب_ مونادات حاصلة على الشعور: وهي مونادات حاصلة على نضج معين لها اكتفاء ذاتي خاص وحاصلة على قوة ونشاط وتتميز عن الأولى في أن تمثليها للعالم واضح ومحدد ومميز عن الأولى وإدراكها للعالم يكون عن طريق الذاكرة هي مونادات أرقى من الأولى.

ج_ مونادات تشعر بذاتها: وهي النفس العاقلة أو الروح وتطلق على الانسان وعلى العقول العليا وإن لم يبين ماذا يقصد بالعقول العليا هل الملائكة، الله أو الاثنين، وهذه المونادات تستند إلى مبدأين الأول: مبدأ عدم التناقض الذي يستخدم في عالم الفكر، والثاني: مبدأ السبب الكافي الذي يستخدم في البحث عن الحقائق المتعقلة بالماديات والوقائع أي عالم الوجود.

يؤكد ليبنتز أن هناك موناد أعظم هو الله خالق كل هذه المونادات وهو القادر على إبادتها وتسييرها ... الخ باعتباره يتمتع بأعلى دراجات كل الكمالات كامل القدرة وهو الخير الأسمى.

5_ مميزات الموناد:

_ الموناد ليست ممتدة في المكان

_ تختلف كل موناد عن الأخرى ولكل مناد خواصه وصفاته ومحمولاته

_ كل موناد معجزة في ذاته لا يمضي كل مناد وحده في العالم.

_ الموناد ليس لها مؤثرات في الخارج لها مبدأ داخلي هو الذي يحركها طبقا لطبيعتها الفريدة فكل شيء يصدق عليه فكرة الجوهر الفرد طبقا للمبادئ الميتافيزيقية.

الله في نسق ليبنتز الفلسفي قائم الوجود بذاته روح خالص، وحصوله على القدرات والقوى الثلاث التي ذكرناها تجعل قوته هي مصدر الخلق والعقل أساس الماهيات أو كل الممكنات والإرادة هي مصدر الاختيار أفضل العوالم الممكنة.

6_ أدلة وجود الله:

أ_ دليل أنطولوجي: أي شيء لا يمكن أن يكون ممكن الحدوث دون أن يكون خارجه موجودا فعليا يكون سببا في صنعه أي هذا دليل على وجود هذا الله هذا الموناد الأعظم.

ب_ دليل كوسمولوجي: هو أيضا يعرف بدليل الإمكان إمكان الحدوث، أي كل شيء جزئي في هذا العالم هو ممكن الحدوث كما يمكن ألا يوجد إذا وجد هذا السيء بالقوة أو بالفعل أكيد يكون هناك سببا كافيا لوجوده أي هناك سببا أخرجه من العدم إلى الوجود وهذا السبب خارج العلل المكننة وهذا السبب الكافي هو الله.

ج_ دليل الحقائق الأبدية: إن وجود الحقائق لا بد أن يكون جزء لا يتجزأ من محتويات الأذهان وبالتالي جزء من الحقائق الأبدية السرمدية في ذهن الكائن الكامل هو الله.

يؤكد ليبنتز أن الله حينما خلق كل موناد كان قد وضع في حسبانه الموناد الأخرى وكل موناد هو مرآة حية لموناد أخرى وكل موناد من هذه الموناد ما عاد الموناد الأعظم يمثل موقفا مختلفا عن العالم كله وهو قادر على أن يمثل بوضوح وتميز ما يكون قريبا منه من الأشياء مهما كانت ضالتها أو تلك الأشياء التي بينه وبينها علاقات بينما يعبر بوضوح عن باقي تفصيلات الكون.

7_ نظرية المعرفة:

ليبنيتز أو ما بدأ به في نظرية معرفته هو انتقده الشديد لديكارت ولم يتفق ليبنتز مع ديكارت في القول بالشك المنهجي، كما أن منهج ديكارت وفروضه غير كافية لهذا يؤكد أن مبدأ ديكارت القائل أن بأن ما

أدركه في وضوح وتمايز في الشيء حقيقي وبالمقدور جعله محمولا عديم الفائدة مالم يضاف إلى ذلك معيار الوضوح والتمايز.

إن المعرفة إما أن تكون واضحة أو غامضة والمعرفة الواضحة إمام مشوشة أو متمايزة والمعرفة المتمايزة إما هي هوي معرفة وافية أو معرفة تفي بالغرض أو تكون رمزية وحدسية. المعرفة الكاملة هي المعرفة التي تجمع بين الاستيفاء والحدس أي تكون وافية وحدسية فضلا عن وضوحها وتمايزها.

هناك فرق بين معرفة الادراك الرمزي معرفة الادراك الحدسي، الأول نلجأ إليه أحيانا وليس كافيا والثاني هو أكثر كمالا. المعرفة الكاملة هي التي تقتضي منا الإحاطة بكل تفاصيل الأشياء الموجودة في الكون، وهذا غير ممكن بالنسبة للإنسان ولكن ممكن بالنسبة لله، هذا النوع من المعرفة هي معرفة ممكنة لا يمكن الشك فيها إنها معرفة ممكنة عقليا وحسيا وحدسيا، ولا حدود لتلك المعرفة.

طريقنا للمعرفة يكون بالعقل الذي يحتوي على أفكار قائمة فيه بالقوة، والإثارات الحسية هي التي تخرج تلك الأفكار من القوة إلى الممكن أو الفعل، مزيجه بالحدس والمعرفة واقعية ومثالية، واقعية من حيث أن الموناد يعكس العالم من زاويته الخاصة أو يتمثله في ثناياه، ومثالية باعتبار أن كل موناد يحتوي في داخله على مبدأ تغيره وأنه عالم مغلق على ذاته.

8_ العالم عند ليبنتز:

إن ليبنتز في تقدميه لموقفه اتجاه العالم ينتقد كل من ديموقريطس في الذرة وديكارت في مسألة الآلية يقول ليبنتز في كتابه "نظام جديد للطبيعة واتصال الجواهر" عندما حاولت التخلص من سلطان أرسطو اقتنعت بالنظرية الذرية وبالخلاء لأنها نظرية ترضي الخيال، ولكن تأملاتي الكثيرة دفعتني إلى إعادة النظر فاتضح لي أنه من المستحيل أن نجد مبادئ الوحدة الحقيقية في المادة وحدها "

يؤكد ليبنتز أن المادة ليست جواهر كقطيع الغنم أو كالبحيرة مملوء بالنباتات الجواهر المادية في رأيه ليست إلا آلات طبيعية بأرواحها وهي مخلوقة والمخلوق يفعل وينفعل أما الله هو فعل بحت خال من المادة

المادة هي حية ومتدفقة ومليئة بالنشاط والنشاط هنا هو من يعبر عن القوة وما يملك نشاط هو حقيقي وكل مادة تملك قوة ونشاط وحقيقة إيجابية هذا يمثل الحقيقة، الطاقة التي تمثل المقاومة هي في الوقت نفسه تمثل الحقيقة، المكان والزمان هي ظواهر للترابط والتعاقب.

العلاقة بين النفس والجسم ليبنتز ينظر إلى الانسان أنه جسم مكون من مجموعة من المونادات ترتبط بعضها بالعض الآخر هذا الموناد يسطر عليه موناد آخر هو النفس أو النفس العاقلة وتحتوي على

مونادات أخرى من خلالها تتحد النفس بالبدن يقول ليبنتز الله حدد للإنسان حريته كما حدد له وجوده الحرية هي من الله منحها للإنسان وهذه الحرية لا تمنع الانسان من ارتكاب الخطايا.

المراجع المعتمدة:

_ مقالات جديدة عن العقل الإنساني

_ النظام الذي تتأسس عليه الظواهر

_ مقال في العدالة الإلهية في طبيعة الرحمة الإلهية حرية الانسان وأصل الشر 1710

_ المونادولوجيا 1715

_ مبدأ الطبيعة والعناية المؤسسة على العقل 1714